

عدوان واضح الأهداف

■ حميدي العبدالله

استهداف الطائرات الأميركية لأحد معسكرات الجيش السوري في محافظة دير الزور لا يمكن تبريره من قبل الولايات المتحدة على أنه حدث عن طريق الخطأ. فالموقع المستهدف هو معسكر ثابت، وهو يقع على بعد حوالي (2) كيلو متر عن مواقع سيطرة تنظيم «داعش»، وليس هناك تدخل في المواقع يمكن أن يحدث من خلاله خطأ، كما كان يحدث للأميركيين في أفغانستان والعراق.
الولايات المتحدة تنصّلت من مسؤولية وقوع هذا الاعتداء، ونفت أن تكون أيّ طائرة من طائرات التحالف اميركي هي التي استهدفت الموقع، ولكن هذا النفي لا يمكن أخذه على محمل الجدّ، فهل مثلا الطائرات السورية أو الروسية هي التي قصفت الموقع؟ أم طائرات مجهولة؟ وهل تجرّو أي دولة، سواء كانت تركيا أو غيرها على إرسل طائراتها إلى هذه المنقطة للقيام بعمل عدواني ضدّ الجيش السوري؟

لا شك أنّ التنصّل اميركي من مسؤولية هذا الاعتداء ونفي حصوله بالأساس، واعد التدرّع كما جرت العادة بوقوعه عن طريق الخطأ، نابع من قناعة أميركية بأنّ أحدًا لن يصدّقها إذا ادّعت أنّ ما حصل كان نتيجة خطأ في ضوء مواقف الولايات المتحدة العدائية إزاء سورية وإزاء جيشها، ولأنها مدركة أنّ أحدًا لن يصدّق ادّعاءها بوقوع قصف عن طريق الخطأ لجأت هذه المرة إلى الرّمع بعدم قيام طائرات التحالف بشنّ هذا الاعتداء.

لكن الاعتداء قد وقع، وتسيّب بسقوط ثلاثة شهداء وعدد

من الجرحى، وبالتالي لا يمكن للنفي أن يلغي حدوثه، وبالتالي المسؤال المطروح الآن، لماذا عمدت الولايات المتحدة في هذا التوقيت بالذات إلى شنّ عدوانها على سورية؟

واضح أنّ الجيش السوري وحلفاءه، وفي ظلّ المساندة الجوية الفعّالة التي يقدّمها سلاح الجو الروسي، حقق نجاحات كبيرة في مواجهة تنظيم «داعش» على المحاور الرئيسية، وتحديدًا محور مهين – القرينين – تدمر، ومحور كوبريس – دير حافر، ومن شأن استمرار هذا التقدم مصحوبًا بصمود الجيش السوري في دير الزور أن يجعل سورية وحلفاءه في وضع يؤلّهم للشمع السريع واستعادة السيطرة على المناطق السورية الواقعة تحت سيطرة «داعش»، في محافظات دير الزور والرقة والحسكة، ومن شأن ذلك أن يحبط الخطط الاميركية، لا سيما في ظلّ عززات تدعيم قوة بريّة للسيطرة على هذه المناطق قبل وصول الجيش السوري وحلفاءه.

انطلاق المساعي السياسية

بثلاث طلقات متوازية

تعيش المنقطة، منذ أكثر من خمس سنوات، دوامة فوضى هي الأشدّ في عمرها الحديث فقد تغيّرت معالم دولها وسياساتها والحديث جار، غربيًا، عن تغيير حدود ورسم وضّمّ وقضم وتآطير عرقي واثني ومذهبي وقد وضع على سلم أولويات سياسات الغرب الخارجي.

لطالما أقيمت المظالم الطبيعية من نفيط وغاز ومياه، الدول الغربية بأهمية الحفاظ عليها كرسيد أو غنيمة تتزّج من إمكانيات وطاقت الدول ورصيدها، فكيف إذا كانت المنقطة تعيش اليوم هاجس الحفاظ على أمن الكيان «الإسرائيلي»، وإذا كانت النظرة إليها تنطلق من أولوية الاتفاق على تأمين المصالح الاقتصادية والسياحية والدينيّة والسياسيّة «الإسرائيلية»؟

يُجمع المراقبون والمحللون على أنّ كلّ مشاريع المنقطة وما تعيشه من فوضى بالنسبة إليها واقع تحت مرأى ومسمع وسيطرة «إسرائيل» بشكل مباشر، وربما تكون هذه القدرات هي أحد أسباب «الفوضى الخلاقة» التي انتشرت منذ خمس سنوات من دون أن تتوقف دقيقة واحدة. وإذا تمّ البحث في الأسباب يمكن أخذ نظرية النمو التصاعدي لإيران كأحد أبرز مواطن القلق «الإسرائيلي»، فبعد عجز «إسرائيل» عن كبح جماحها وجماح حلفائها وأبرزهم حركات المقاومة، كان لا بدّ من الانطلاق من زاوية أخرى مغايرة تماما للحرب المباشرة مع المحور، فكانت فكرة التنتظيمات التكفيرية عبر ضخّ كمية كبيرة من الوحشية التي تتنافى مع مبادئ وأخلاقيات الإسلام، من سابق تصور لقدرتها على جذب الشارع السنّي وحشدّه ضدّ إيران حيث بدأت هذه المجموعات تحارب المدّ الشعبي بامتياز.

سقط المشروع التكفيري أمام أبواب دمشق بمجرد صمود الرئيس بشار الأسد مع جيشه ثم انضمام حزب الله للقتال إلى جانبه، وكانت المفاجأة الأكبر دخول روسيا على المشهد حيث تغيّر معها كل شيء.

اليوم نبدأ المنقطة مرحلة منقطة من الاتصالات والانفراجات السياسية وتتحرك الفرق الأمية باتجاه تحريك العملية السياسية في كل من سورية واليمن مع مفاجأة كبرى جاءت من الملف اللبناني برتشيح غير رسمي حتى الساعة لكنه حصد اهتمام الشارع اللبناني ويعت برسالة محاور بامتياز يطرح الرئيس سعد الحريري من باريس رئيس نيار المرءة النائب سليمان فرنجية لرئاسة الجمهورية وهو الذي يمثل قطبا أساسيا من الأقطاب المارونيّة وصديقا مقربا للرئيس السوري بشار الأسد.

العملية السياسية في سورية تنطلق نحو نيويورك قريبا بشخصياتها ووقودها والمعنيين بها واليمن تحوض مع مبعوثها الأمي اسماعيل ولد الشيخ جدية في البحث عن حلول وقد أكد وزير الخارجية اليمني الجديد عبد الملك الخلفائي أنّ محادثات «جنيف 2» للتشاور حول الحل السياسي ستبدأ بعد 15 كانون الأول الجاري.

استنادا إلى العلاقات الثلاثة في التوقيت نفسه، يدعو إلى التساؤل عن قطبية مخفية أجابت عنها روسيا بدخولها المباغت إلى سورية لمكافحة الإرهاب،

فكلّ من قرأ المشهد أكد استحالة العودة إلى الوراء، وربما يرخي دخولها شيئا من الإرضاع والقناعة في الوقت عينه، فهو إرضاع للرجعة الروسية في حماية حليفها الرئيس بشار الأسد من جهة، لكنه ربما قناعة بأن لا مفرّ من المفاوضات اليوم قبل أن تنمادي روسيا في طرح أوراها الناجحة في سورية والمنقطة بعد أن تحقّق إنجازات أكبر وأعمق في صفوف الجسم التكفيري.

«توب نيوز»

التحالف يقصف الجيش السوري

– الغارات التي شنتها طائرات التحالف الغربي على موقع سوري في دير الزور لم يصدر بشأنها أيّ توضيح اميركي.
– هل هي تحرّش مقصود من طائرات عربية؟ أم تحرّش نصف مقصود من طائرات عربية؟
– ليس ثمة ما يوحى بقدرة الغرب ولا بتوجهات لتصعيد مع الدولة السورية في مناخات ما بعد الحضور الروسي، والتحالف لم يفعل ذلك قبل مجيء الروس وصواريخ «أس 400».
– فرضية الخطأ واردة وفرضية التحرّش نصف المقصود واردة أيضاً.
– القصد بالتحرّش نصف المقصود هو تحرّش لا يريد تصعيدا، بل الإشارة بعد إسقاط الطائرة الروسية إلى مناطق عمل قوات التحالف شرقا من جهة ودعوة إلى التنسيق من جهة أخرى.
– سيرجخ الأميركيون ببيان يقول أنّ الغارة خطأ ناجم عن عدم التنسيق وأنّ المطلوب لمنع تكرار هذا الأخطاء هو تنسيق مباشر.
– الطرح الروسي الهادف لتشكيل غرفة عمليات تحت مظلة الأمم المتحدة سيمسج هو المخرج الوارد بعد اتصالات ومشاورات فياتي لحلّ إشكالية وليس انتصارا لروسيا ومنظلقا.
– يسنجم ذلك مع الكلام الأميركي بالدعوة إلى التعاون مع الجيش السوري في الحرب على الإرهاب.

التعليق السياسي

البناء

أميركا والغرب يريدون استدراج روسيا نحو الحرب

■ راسم عبيدات

وصعدت أميركا بإقمارها الصناعية أفغانياً من جماعة طالبان يتكح حمارة، وكذلك اكتشفت أنّ هناك مياها على سطح المريخ، ولكنها بقدرة قادر لم تستطع رصد شاحنات تنسبر بالماثات ومئات الكيلو مترات محملة بالنفط السوري والعراقي المسرووق نحو تركيا، وهذا مؤشر على التواطؤ والمشاركة الأميركية في عمليات سرقة وتهريب النفط السوري والعراقي المنتهق منه أكثر من طرف، وبالذات تركيا التي أظهرت الأرقام الصناعية الروسية بالدلائل والصور مشاركتها بذلك، والدلائل والمعلومات تؤكّد أنّ عائلة أردوغان منزوّطة بذلك ومنتهقة خصصياً من عمليات التهريب تلك، وكذلك حركة «داعش» وغيرها من الجماعات الإرهابية التي تجبي من ذلك نحو 3 ملايين دولار يوميا تذهب من أجل شراء البضائع التركيّة المدنية وشراء السلاح الأميركي والغربي.

دخلت روسيا على خط محاربة الإرهاب بشكل مباشر، بعدما شعرت بأنّ هناك خطرا جديا يتهدّد مصالحها لجهة محاصرة نفوذها ومنافذها على البحر المتوسط والبحر الأسود، وأن يصبح نفطها وخطوط غازها تحت رحمة أميركا والغرب الاستعماري وتركيا، ولذلك كان القرار الاستراتيجي الروسي بمشراكة قواتها الجوية مباشرة في دعم الجيش السوري يقصف مواقع الجماعات الإرهابية دون تمييز بين «داعش» او «نصرة» او غيرها... وهذا غير الواقع على الأرض وحقق الجيش السوري انتصارات ميدانية كبيرة واستعاد مساحات واسعة من الأراضي التي كانت تسيطر عليها الجماعات الإرهابية، ولذلك شعرت أميركا وتابعيها من الغرب الاستعماري والخليفة السلجوقي ومشيوخ النفط والغاز العربي بأن مشاريعها ومصالحها أصبحت في خطر جدي وحقيقي، ولم تنفع حملة الخداع والتضليل والتشويه التي شنت على روسيا، تارة بالقول إنها ستغرق في المستنقع السوري، أو أنّ تدخلها سيهدّد الحل السياسي، ويأنه لا يوجب لروسيا «ضرب جماعات إرهابية معتدلة مثل النصرة» التي يريدونها شريكا في الحل السياسي للمسألة السورية مستقبلا، وبأنّ ما يقوم به الروس يجري بالتنسيق مع أميركا أو قياداتها.

التصغرات تلك واستمرار روسيا في حربها على الإرهاب قاد صناع القرار الأميركي والأوروبي الغربي والتركي لتوجه عدة ضربات للقصر الروسي، لكي يرسوا له خطوط الدفاع عن مصالحهم بالانز ويغرضوا عليه التراجع وكذلك تأليب الرأي العام الروسي عليه، فكانت عملية إسقاط الطائرة الروسية المدنية بقنبلة «داعشية» فوق سبناه المصرية بعلم ومعرفة أميركية وبريطانية، وإسرائيلية، وبدلا من أن يفرض إسقاطها التراجع على القصر كفف من غاراته على الجماعات الإرهابية ووسع من نطاق هجماته واستقدم قاذفات استراتيجيّة وبوارج حربية، واستخدم الصواريخ المجنّحة في نصف مواقع «داعش» في الرقة وادلب.

كلّ هذا أثار جدلح دوائر صناع القرار في واشنطن وباريس ولندن وأنقرة والتي باتت تشعر بأنّ كل جهودها لإمهاء منطقة عازلة في الشمال السوري وحماية جماعاتها الإرهابية وخطوط تهريبها للنفط السوري والعراقي مهددة بالخطر، وشعور أميركا بأنّ مشروعاها القائم على «توليف واتجاه» من داعش يتعرّض لمخاطر جدية، وبأن المنقطة بعد زيارة بوتين لطهران، وما صاحب تلك الزيارة من اتفاقيات اقتصادية نوعية وتسليح روسيا لإيران بصواريخ اس 300 وتعميق التحالف بينهما ليس فقط على أساس مصالح، بل وإخالفيا أيضا، وقول القصر والمرشيد الأعلى للجمهورية الإسلامية بأنهما لايتخليان عن حليفهم السوري، هذا أشعل ضوئا احمر أمام التحالف الأميركي، فكان قرار إسقاط السوخوي الروسية من قبل الطائرات التركية، له ارتدادات وتداعيات واسعة، فبدلا من أن يتراجع القصر، وجدنا أنه جنّ جنونه، ولم يتكف بالعقوبات الاقتصادية والدبلوماسية والسياسية ضدّ تركيا، بل الامور تطورت وتدرجت نحو إعادة النظر في خط الغاز الروسي الذي يمرّ من تركيا «السيل التركي»، وكشف تواطؤ ومشاركة تركيا وعائلة أردوغان في تهريب النفط السوري والعراقي المنهوب من قبل «داعش» الخ... ولم يتكف القصر بذلك بل استقدم أحدث الأسلحة إلى سورية، نظام الدفاع الجوي الروسي «أس 400، القادر على إسقاط أي طائرة تحلق في الأجواء السورية بدون تنسيق مع روسيا، بالإضافة الي البوارج الحربية.

ما يحدث الآن شبيه بأجواء الحرب العالمية الأولى وحادثة مقتل ولي عهد النمسا من قبل أحد الطلاب الصربيين أثناء زيارته لساراييفو، والتي استغلت من أجل إشعال فتيل الحرب العالمية وتوظيفها لخدمة أغراض واهداف سياسية من أجل إشغال

الأسد وتغيّر النظرة الأوروبية... الأسباب والدوافع



■ جمال الكندي

التغيّر السريع ومؤخراً في التصريحات الأوروبية تجاه الرئيس بشار الأسد، والتي كانت فاتحتها التصريحات الأميركية في إكمانية مشاركة الجيش السوري في حلف محاربة «داعش»، تعتبر من منظومة الفكر الرعاغماتي الأميركي الذي يتغيّر بتغيّر المعطيات، وهذا ما تتميّز به السياسة الأميركية، وطبعاً حينما تتغيّر السياسة الأميركية تجاه أيّ قضية في الشرق الأوسط تركز السياسة الأوروبية وراء ما يقوله الأميركيان، ما عدا من لا يعلمون في السياسة شيئاً، ويعتمدون على تغيّر مواقف الآخرين بالنترو دولار، وهم باتوا معروفين وتحركهم الشخصية السياسية إلى صحّ التغيير، وعقولهم السياسية تحركها ابيدولوجية طائفية تتلاقى مع المصالح الأميركية.

من هنا بدأت عوايات هذه الأنظمة للرئيس الأسد، وحدثت له وبتناغم غربي وإقليمي عناوين معينة كان الغرض منها استمالة المجتمع العربي والغربي إليها والتي لم تنطق به ألتها الإعلامية، وجعل القضية في عيون العالم قضية رأي عام دولي وحقوق إنسان. إنها الشنماعة التي يُراد من خلالها استهداف كلّ نظام لا يمشي وراء الفكر الأميركي الغربي، وطبعاً أوداته في المنقطة في بعض الرجعات العربية التي تنفّذ وتقول سعماً وطعاً لأنّ في بعض مفردات هذا الاستهداف نصراً ناعداً لها بسبب المنطلق ابيدولوجي والفكري.

إنّ تالقي المصالح بين الغرب وبعض السُميّات العربية في المنقطة، وإجادة أميركا للعب على المتناقضات في البنية الفكرية والائتية للمجتمعات العربية عموماً وللمجتمع السوري خاصة، ولد هذا التحالف الشطواني الذي دمرّ وما زال يدمرّ سورية والعراق واليمن.

مشكلة الأميركيان والأوروبيين تجاه أوداتهم أنهم يتغيّرون لأسباب معينة، ويعلمون بدواوتهم ويخرجونهم في كثير من الأوقات، كذلك لسبب معين لا يعرفه أحوثنا العرب وهو أنّ السياسة فنّ الممكن، وهي هلامية الشكل أنّ صحّ التغيير، تتغيّر بتغيّر

ومما تجدر الإشارة إليه أنه من نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين استعمرت الدول الأوروبية الغربية جميع أفريقيا وأغلّب آسيا تقريبا، وعملت على زيادة التصنيع والسعي للمستعمرات لإمداد المصانع بالمواد الخام، وإمداد الأسواق بالمواد المصنعة، مما أتى الى رفع سقف التوتر والتنافس بين الدول الاستعمارية نحو المستعمرات والسيطرة عليها.

جنور الخلاف الروسي – التركي قديمة وتعود الى ما لا يقلّ عن 500 عام وسبعة عشر حرباً جرت بين الطرفين خسرتها تركيا جميعها وأفتتها نفوذها في شبه جزيرة القرم.

القصر والإمبراطور اليوم بجسدهما فلاديمير بوتين ورجب طيب أردوغان.
الأول يهدّد تركيا بأنها «ستندم على فعلتها»، والثاني يستنجد بالناثو طالباً مزيداً من الدعم العسكري، القوات العسكرية للبليدين تقف في مواجهة بعضها بعضاً مباشرة على جانبي الحدود السورية، فضلاً عن حجم الهائل للترسانة العسكرية الروسية ووضعاها على أهمية الاستعداد.
الثابت أيضاً أنّ كلا الدولتين تحافض على إبقاء مسافة بينهما ولو ضيقة، تسمح بعدم الاقتراب من حافة الهاوية، لا سيما الطرف الأضعف منهما رغم الضجيج والصخب الإعلامي وقرعة السلاح.

تركيا «سمع» لها توحى لجهة التهديد إعلاميا بينما يعنى حلف الناتو في تعزيز وجوده العسكري على الأراضي التركية.
أردوغان من جانبه استنجد لجهة «الدفاع عن العالم التركياني»، أسوة بخطاب الدول الاستعمارية في «الدفاع عن الأقليات» العرقية والدينية.

أردوغان واضح انه جنّ جنونه بعد خسارته لكلّ استثمارته من أجل اقامة

منطقة عازلة في سورية، وتدمير الروس لأسطول شحته من ناقلات النفط المنهوب

والمسرووق، ولذلك وجدنا إرسال قوات تركية إلى نينوى في العراق بدون إذن

الحكومة العراقية لدعم الجماعات الإرهابية هناك «داعش»، وحماية إمداداته من النفط المسرووق.

تاريخ أميركا والغرب الاستعماري في التدخل في شؤون الغير، ليس بالجديد، فأميركا في سبيل حماية مصالحها وتحقيق أهدافها دعمت أنظمة مغرقة في الديكتاتورية وقمع حقوق الإنسان، وغيّرت أنظمة على غير إرادة شعوبها.
بيد انه يبنغي النظر إلى الجولة الأخيرة في تعزيز التواجد العسكري الأميركي واتباعه الغربيين من زاوية المناخ الانتخابي المطبق على المشهد الأميركي، وما يواكب من مزيدات ومواقف سياسية متشدّدة.
هجمات باريس استغلّت كذريعة لزيادة التدخل العسكري الأميركي والأوروبي الغربي في سورية والعراق بحجة «ضرب «داعش»، حيث تشهد زيادة عدد الطلعات الجوية من الدول الأوروبية المختلفة إلى جانب المقاتلات الأميركية والتركية في الأجواء السورية يعزز مشاعر القلق من تدهور سبل السيطرة على العمليات العسكرية وحدثت اشتباكات مباشرة مع سلاحي الجو الروسي والسوري، وإسقاط تركيا للقاذفة الروسية، وما رافقها من نشر روسيا لأختث ما في ترسانتها من دفاعات جوية في الأراضي السورية؛ وما ينطوي عليها من استعداد البشرية لما هو أسوأ، وما يحدث في الجو يحدث في البحر حيث تراحم القطع والبوارج الحربية الروسية والأميركية والأوروبية الغربية والتركية وغيرها.
التدخل الروسي المباشر في الحرب على الإرهاب وزيادة حجم التدخل العسكري الروسي بشكل كبير، أفقد تركيا وأميركا وشيوخ النفط والغاز وكلّ التتابع الأخرى الكثير من الأوراق التي كانت تراهن عليها خدمة لمشاريعها، أميركا كانت تريد الاستمرار في ادامة الصراع وتزيف الدولتين السورية والعراقية، ضمن مشروعاها الفوضي الخلاقة، إيهال المنطقة العربية في حروب التدمير الذاتي، والصراعات المذهبية والطائفية وتقسيم النفس من الجغرافيا العربية، وتركيا أضاعت فرصتها بإنشاء «منقطة آمنة... او حظر للطيران» في الشمال السوري.

أحدث الأسلحة من الطائرات الحربية والبوارج والطائرات البحرية الروسية والأميركية والأوروبية الغربية وحتى التركية، وكثافة وضخامة المناورات العسكرية أميركا وأوروبا وتركيا وإسرائيليا، وروسيا وإيرانيا في البحر والجو، والتسابق على سورية والعراق والحضور الأميركية العسكرية والأوروبية الغربية في تركيا، تنذر بخروج الأزمنة عن السيطرة وميل بعض القوى الفاعلة إلى ارتكاب خطأ ميداني يجزّ القوى الأخرى إلى مواجهات مباشرة غير محمودة العواقب، كما جرى في الحربين العالميتين الأولى والثانية.

Quds.45@gmail.com

من حقنا أن نسال؟!

■ د. سلوى الخليل الأمين*

حين كانت سورية في لبنان كان الجميع على أبواب اللواء غازي كنعان في عتجر صوفوا متراسة، سعيد الحظ من يحظى بالدخول والجلوس مع الحاكم الفرد ولو للحظات، حيث بعدها ينتمّ التباهي بالقول: زرت اللواء وحذثني بكذا وكذا، واتفقتا على كذا وكذا، وكله كذب وفتاق وتدجيل مرسوم من أجل اتخاذ رتبة ما في محراب الدولة العلية، وتاريخها مع زال الأمر ذاته ساري المفعول لجهة البصرة المتمكّنة على بثّ الدعايات والشعارات الطنانة المغلفة باستغياها الناس كل الناس، وللاسف البعض من الفئات المثقفة، التي هي عادة ركيزة المجتمعات الحضارية، حين أهل العلم والمعرفة هم المخترعون والمفكرن والفلاسفة والأدباء والشعراء والموسيقيون والفنانون، وهم أسس الحضارة التكنولوجية والعلمية والمعرفية والفنية، التي ترفع الدول إلى المراتب العليا عبر التاريخ.

لهذا كان تاريخ الأزمان الماضية محظوظا بحكام، لا يخافون أهل الفكر والمعرفة، بل جعلوهم ذوي خطوة لديهم، لهذا كانت الحضارة العربية التي أطلقت إلى العالم أجمع، حيث من خلالها نضحت حضارات الأمم التي نشهد تطورها اليوم عبر مدارات الكرة الأرضية.

ومن الأفضل المفارقة بآبائنا الذين أبدعوا في عالم الانتشار، ولم يستوعبهم الوطن، والسبب جهل الحكام في لبنان الذين عمدوا عن قصد، إلى تهجير النوايع من أبناء الوطن بفصل سياسية الفرز الطائفي والحزبي، كي يبقى هذا الوطن مصابا بالترهل والكسل والإنكفاء عن ركب الحضارة العالمية. لهذا نجد أنّ كل ما فعله أهل السياسة الجدد في لبنان، أنهم أصبحوا من المتلقين للاوامر السلطانية الخارجية، أنّ في عتجر ماضيا أو في إيران والسعودية حاضرا، مع الفرق التاسع الذي يلمظه جميع الحليظين بين الاثنين من يصدرن الاوامر بخصوص تامّ السياسة الأميركية المشنقة والمتعاونة مع العدو الصهيوني، وبين من هو حليف في مقاومة العدو «الإسرائيلي»... إلى درجة أصبح كل ما يقوم بشرف هو عدو لؤلؤء، الذين لا يخفون من الوطن سوى مصالحهم الخاصة، التي معيارها السلطة والمال دون حسيب أو رقيب، حين أنّ المتعارف عليه قانونيا دستوروي أنّ الشعب، الذي أصبح قطعيا يصفق لمن ولي الأحكام حتى إنّ ظلم، هو مصدر السلطات! لهذا لا يجوز التغاضي عن حالات القهر والظلم الكابحة على صدور اللبنانيين زمن الرمن الوصايات المتعددة، كما لا يجوز إسقاط حوليات اللوطان المخزّبة ومراميتها الخبيثة، التي لا تلتحص المصلحة العليا للوطن والموطن على حدّ سواء، بل للغاية الواضحة وهي إزهاق الحق والحقيقة، واستغياها الناس كل الناس ما دام معظمهم يحسن البصم والتوقيع، حين تصدر القرارات من خارج الحدود.

لهذا ارتفعت الأصوات تهلل للقرار المستجّد، الآتي من خلف الحدود، المطعّم بالف مؤامرة ليعتدّ تهدف إلى شقّ الصف الوطني، ومبلايين الدولارات المنتظرة التي ستطوى في الجيوب من مال النفط، أيّ من تروءه، هي حق لكل مواطن لبناني يأمل بسداد الدين العام، وبسلسلة للرواتب منضفة تسحق غلاء المعيشة وارتفاع الأسعار، الذي جعل اللبنانيين معظمهم تحت خط الفقر، يعانون من ضيق ذات اليد، بل من أفلاس في الجيوب والكرامات، لا يسند سوى عبر التنازل عن المبادئ والقيم، التي تفجع الجميع بالخيانة والتخلي عن الكرامات، ليجرد أنّ المال هو الهدف، والمال تأتي به السلطة، والسلطة أمر سهل في لبنان، خصوصا عند من اعتلى سُدّتها، ممّن عرفوا أهمية شطب معايير القيم الوطنية والقومية العربية من أجل المصالح الذاتية، التي تؤدّي في نهاية المطاف إلى ترسيخ الزعامة الفئوية والمناطقية والمذهبية الخبيضة.

لهذا بات كل لبناني يشعر بأنه في عهد الجاهلية والبربرية الأولى، حين كان الغرّو والرصنة مقياس القوة والسيطرة والاستعداد والاستبداد، علما أنّنا في عصر العولمة والألفية الثالثة، أيّ في زمن الانتفاح الكوني، الذي جعل الجبل الجديد، الذي هو جبل المستقبل الآتي، باحثا ومطلعا ومتابعيا وواعيا لكلّ ما يحاك ويدبر في ليل خفي، حيث المعلومات تسترّب بسرعة البرق وتصيح في متناول الجميع مهما أحيطت بالسرية التامة المتعدّدة على المسافات المتشعبة، بحيث فاحت روائح اتفاقيات السممرات، التي تمت في الخفاء، من أجل تسويق مقام رئاسة الجمهورية اللبنانية في هذا الوقت بالذات، والهدف الواضح من الصقفة المسترطوة هو التعاون من أجل نهب الثروة النفطية، على طريقة: «بعد حشيشي ما ينبت حشيش!»

السؤال المطروح بدقة من قبل الفئات الوطنية التي لم تهاجر ولم تتاجر ولم ترث من الدولة أموالا وشركات ومؤسسات نظمت بدقة في كتاب: الحاكم بأمر الله، الذي أصبح بيد الجميع، علما أنّ المعلومات الواردة بين دفتيه والتي حذفت أيضا بناء لسلطة متمكّنة، أصبحت معروضة ومعلومة من الشعب اللبناني برمتّه، والتعمية ليست في محلها، لهذا لن يتمكّنوا من إخفاء المستور، لأنّ أبعاد الحدث المستجّد الذي في أعقاب إطلاقه انقطع بثّ قناة «المطار» التلفزيوني عن القفر «عربسات»، وهذا الفعل بداية الغيث المنتظر، الذي يستنمع ملحقات تنسرح بأسلوب ناعم، لكنه خطير جدا، إن لم ينتبهه الآخرون، الذين يتمّ الرهان عليهم، لإيقاف هذه المهزلة التي تصبّ في ساحة المؤامرة الكونية العظمى على سورية، وحاليا على لبنان.

لهذا من حقّ كل لبناني مردك وواع استدراك ما يحدث وتعميم التحذير، بل من حقّ كل مواطن لبناني حسب الدستور والقوانين المرعية الإجراء أن يحاسب ويطلب ويذعي وإنّ بالقول: يا سادة الوطن من أين كرمه في جيوبكم وخزائنكم، وأنتم لم تترّوا سوى ما هو معلوم لدى الجميع من آياتكم النجيب؟ كي كيف يحقّ لكم تعطيل استخراج النفط غلى حين اكتمال سلسلة التضامن والتكافل الهادف إلى توزيع حصص النهب والسلب، علما أنّ الثروة النفطية هي حق لكل مواطن لبناني يريد الوطن وطناً وليس غاية للوحوش الكاسرة؟ كي كيف للمّعين المرص على الوطن والشعب، ولبنان كما هو معروف ومكتوب بو نظام برلماني ديمقراطي، أن ينتظروا الممن والسؤلوي من الخارج من أجل انتخاب رئيس للجمهورية العنيدة؟ كي كيف لا يحق للشعب انتخاب الرئيس العتيد على أساس مشروع إصلاحي وليس على أساس: شو يبطعالي؟ ثم هل العودة إلى حكم العشيّرة والقبيلة ما زال مقبولا لبناء الدولة اللبنانية الحديثة التي ستواكب المرحلة المقبلة في المنقطة؟ ثم من حؤول البعض استغياها عقول اللبنانيين، بحيث من ليس معنا ويؤيدنا فهو ضدّ لبنان الوطن، الذي ما زال صامدا بقوّة مواطنيه الشرفاء والأتقياء؟ هؤلاء الذين ما زالوا يحصون بأشرف الأوصياء وبيداد أقلامهم وحرية ضمائرهم ووقائهم لستورده، الذي أعطى كل لبناني الحق بأن يحصل حسب قدرته وكفاءته على المركز المناسب له في الإدارة اللبنانية من أجل خدمة الوطن؟ ثم لماذا يحقّ لقبلة التتمك والاستمئاع بهواء الوطن واحضنان الهميات، فيما الآخرون آبتأؤهم في الغربية، ينتجون نجاحات متميّزة ومبدعة؟ أليس وطنهم أحقّ بهم؟ حيناً لو كان همّ الحاكم استغلال هذه الطاقات البشرية من أجل قيامة الوطن وإصلاحه، وتغييره إلى الأحسن بل إلى الأفضل.

أقول هذا الكلام، ليس من منطلق التصدي لأحد، بل من منطلق الهمّ الوطني الذي ما زال يسكن العقول والضمائر، وينسرح وشوشات قد ترتفع ضجيجيا مقلقا بل متفخّرا، إذا لم يتمّ استدراك الأمر الآتي إلنا على خيوط حريرية العلمس، مبطنة باسمّ الزعاف الذي يتسلل ببطء إلى جسد الوطن كي ييمته ببطء. ترى هل يدرك المسؤول في الوطن ما يُقال في المجالس المختلفة؟! حتماً لا، لأنهم تعودوا على وشوشات المحظّلين في البلاط، الذين لا يمكن لهم أن يتلفسوا أحاسيس الناس كل الناس، ثم من أفتى للمسؤول في لبنان بأن يبتعد عن الشعب وهمومه، وهذا مائل في الشوارع والطرق المثقفة، التي يحظر على أيّ كان مخالفتها، علما أنّ الحاكم العادل هو الذي يقرأ التاريخ ويأخذ منه العبر، حين القول من رسول الروم للخليفة الفاروق عمر بن الخطاب حين رآه قائما في الصلاة تحت جذع نخلة: عدلت فامنت فمتمت. لهذا كان الأجدى معرفة الناس بمختلف فئاتهم وبعقائهم وتنوّع اختصاصاتهم، التي التحقت بركب الحراك الوطني مستنكرة وشاجية بل شتامة في أكثر الأحيان، وهذا بعيد رسم صورة الثورة الفرنسية والبوشيفية وغيرها من الثورات العالمية التي غيّرت مجرى التاريخ. لهذا لا تستغربوا أنّ نقول للمسؤول عله يسمع: من حقنا توجيه السؤال، الذي هو جرس إنذار مبكر.

* رئيسة ديوان أهل القلم